المنسوجات في معجم لسان العرب
نماذج من صورها على الآثار العربية الإسلامية ...

الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب – جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب – جامعة بغداد

تضم المصادر التاريخية والأدبية والمعاجم كثيرا من الاسماء والالفاظ والصفات للمنسوجات العربية الاسلامية غير ان بعضا من هذه التسميات التي تتعلق بهذه الالفاظ والأسماء والصفات يعوزها الوصف الدقيق لأنها غير متميزة تتداخل فيها الأستعمالات وتضطرب في تسميتها لبعدها عن عصرنا وتجاوزنا دواعي استخدامها ولكن تحديد أشكالها تبقى رهينة بالنماذج الأثرية والحقيقية منها والمصورة ، ومحاولتنا هذه لها خصيصة تختلف عن الخصائص الأخرى ونحن نعود الى معجم لسان العرب لنلتقط منه مفردات المنسوجات وما يتعلق بها أو يتصل بالحديث عنها فهناك مفردات غنية تعطي المنسوجات دورها في الحياة وتكشف عن جوانب فنية وحرفية بعيدة عن تناول الدارسين إذ بقيت أوصافها على النقول وأشكالها مقترنة بأقوال القدامى ما دامت الصورة الحقيقية غائبة وأنها محاولة أخرى من محاولات البحث التي تقدم في هذا السفر الخالد والخزين بكل نادر والحفيظ بكل مأثور ما يبقينا على معرفة مفردات الحضارة التي عرفها العرب في مجال المنسوجات وبالتالي وضع هذه المفردات على رسومها التي وجدناها على الآثار العربية الأسلامية .

ويمكن تقسيم مفردات المنسوجات التي وردت في معجم لسان العرب الى أنواع بحسب مادة صنعها ورقتها وخشونتها وتخطيطها ووشيها وزخارفها ورسومها ، ولهذا جاءت أسماء هذه المنسوجات مناسبة لما يتميز به كل منسوج .

وتأتي المنسوجات الرقيقة في مقدمتها وهي السبوب والشفة والرف والقصب والشمرج والقباطي وهلهال والفوف والسابري ، والملاحظ أن هذه

المنسوجات تلتقي في صفة الرقة ومن العسير أن نجد تفصيلات أخرى نستطيع في ضوئها أعطاء سبب أختلاف التسمية .

فالرف هو الثوب الرقيق من رف الثوب رفقا فهو رفيف ، والرفرف الرقيق من الديباج أو هي ثياب خضر يتخذ منها للمجالس وفي التنزيل الكريم "متكئين على رفرف خضر"[١] .

أما الشمرج فهي ثياب رقيقة ، قال صاحب لسان العرب هي ثوب شمروج ومشمرج رقيق النسج والشمرج الرقيق من الثياب وغيرها وقيل الشمرج كل خياطة ليست بجيدة وشمرج ثوبه خاطه خياطة متباعدة وباعد بين الغرز وأساء الخياطة[٢] .

أما القصب فهي ثياب تتخذ من كتان رقاق ناعمة واحدها قصبي[٣] .

وثوب هل وهلهل وهلهال وهلاهل ومهلهل رقيق سخيف النسج وقد هلهل النساج الثوب إذا أرق نسجه وخففه ، والهلهلة سخف النسيج وثوب هلهل رديء النسج[٤] . قال النابغة ...[٥]

أتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأتل الحق الذي هو ناصع

أما الشف فهو الثوب الرقيق وقيل الستر الرقيق يرى ما وراءه وجمعها شفوف وشف الستر يشف شفوفا وشفيفا وأستشف ظهر ما وراءه والشف ضرب من الستور يرى ما وراءه وهو ستر أحمر رقيق من صوف يستشف ما وراءه وجمعه شفوف وأنشد .

زانهن الشفوف ينضخن بالمسـ ـك وعيش صفائق وحرير

وشف الثوب عن المرأة يشف شفوفا ، وثوب شف وشف أي رقيق ، وفي حديث عمر (رضي الله عنه) لاتلبسوا نساءكم القباطي فأنه أن لايشف فأنه يصف ومعناه أن قباطي مصر ثياب رقاق وهي مع رقتها صفيفة النسج فإذا لبستها المرأة لصقت بأرادفها فوصفتها فنهى عن لبسها وأحب أن يكسين الثخان الغلاظ ومنه حديث عائشة (رض) وعليها ثوب قد كاد يشف ، وتقول للبزاز أستشف هذا الثوب أي أجعله طاقا وأرفعه في ظل حتى أنظر أكثيف هو أم سخيف[٦] .

أما السبب فهو الثوب الرقيق قال أبو عمرو ، السبوب الثياب الرقاق وأحدها سب وهي السبائب وأنشد ...

ونسجت لوامع الحرور سبائيا كسرق الحرير

وقيل السبائب متاع كتان يجاء بها من ناحية النيل وهي مشهورة بالكرخ عند التجار ومنها ما يعمل بمصر وطولها ثمان في ست والسبيبة الثوب الرقيق ، وفي الحديث ليس في السبوب زكاة وهي الثياب الرقاق[٧] .

أما الفوف فهو ضرب من برود اليمن، وفي حديث عمثان (ﷺ) خرج وعليه حلة أفواف ، والأفواف جمع فوف وهو القطن وقيل الأفواف ضرب من عصب البرود والفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة وبرد مفوف أي رقيق[٨].

والقبطية ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة الى القبط ، قيل القباطي ثياب الى الدقة والرقة والبياض[٩] . قال الكميت يصف ثورا ..

لياح كأن بالاتحمية مسبع أزارا وفي قبطية متجلبب

وفي الحديث أنه كسا أمرأة قبطية فقال مرها فلتتخذ تحتها غلالة لاتصف حجم عظامها ، وجمعها القباطي ، ومنه حديث عمر (ﷺ) لا تلبسوا نساءكم القباطي فأنه أن لا يشف فأنه يصف .

والسابري من الثياب الرقاق[١٠] ، قال ذو الرمة[١١] ..

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصوبها سابريّ مسبرق

وكل رقيق سابري ، وعرض سابري رقيق ليس بمحقق . وفي حديث حبيب بن أبي ثابت رأيت على ابن عباس ثوبا سابريا استشف ما وراءه كل رقيق عندهم سابري .

ومن أصدق الأمثلة التي وصلت الينا عن المنسوجات الرقيقة مما وجدناه ممثلاً على نقش بالألوان المائية كان على الجدران في قاعة القبة بقسم الحريم في الجوسق الخاقاني بسامراء في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وقوام تلك النقوش باقات من الفروع النباتية المركبة والمحورة عن الطبيعة كما تضم رسوم نساء شبه عاريات تحمل بعضهن صحون فاكهة ، فالسيدة التي تظهر الى اليمين

تكسوها ملابس تغطي أسفل جسمها أبتداء من أسفل الثديين وحتى القدمين وهي من قماش رقيق شفاف يظهر أجزاء جسم السيدة من تحته ، أما السيدة في الجهة اليسرى فترتدي ملابس شفافة تغطي بدنها كله ، ويظهر أن هذه الملابس مصنوعة من نوع المنسوجات التي أشرنا اليها في الصفحات السابقة أي من المنسوجات الرقيقة كما يبدو من طياتها الرقيقة ونهايتها الهفهافة والشفافية التي تظهر من تحته بعض تفاصيل أجسام السيدات (شكل ١) .

وهناك مثل آخر يظهر فيه هذا النوع من المنسوجات نجده في مصورة من مقامات الحريري محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس مؤرخة من سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧ م نشاهد فيها مجموعة من النسوة يستمعن الى وعظ وكل واحدة منهن تضع على وجهها نقاب مصنوع من قماش رقيق يمكن أن يشف عما وراءه عند النظر الى الأشياء من خلاله (شكل ٢) .

أما الصنف الثاني من المنسوجات التي وصفت بوشيها فهي المضرس والمخلب والمكعب والمرقم والعقل والمسير والحبر .

والمغرس ثوب موشى به[١٢] أثر قال أبو قلابه الهذلي[١٣] ...

ردع الخلوق بجلدها فكأنه ربط عتاق في الصوان مضرس

أما المخلب فهو الكثير الوشي من الثياب ، قال لبيد ..

وغيث بدكداك يزين وهاده نبات كوشي العبقري المخلب

أي الكثير الألوان ...[١٤]

ومن الانواع الفريدة لهذا الصنف من المنسوجات نوع يعرف بالمكعب وأن تسمية هذا النوع من المنسوجات جاء من شكل الزخرفة التي تحليها ، والثوب المكعب مطوي شديد الأدراج من تربيع ، ومنهم من لم يقيده بالتربيع فيقال كعبت الثوب تكعيبا ، وقال اللحياني برد مكعب فمن وشي مربع والمكعب الموشي .

ومن الملاحظ ان أكثر المنسوجات الأثرية التي وصلت الينا تمثل هذا الصنف من المنسوجات أي النوع الموشى كما يتضح لنا من النماذج التي أطلعنا عليها نذكر منها تصويره من مقامات الحريري يرجع تأريخها الى سنة ٦٣٤هـ/

١٢٣٧م محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس تمثل مجلس قضـــاة ، وقـد جلـس القاضي على منصة واطئة وقد أرتدى طيلسانا قصيرا من النوع المقور وقمـــاش الطيلسان أبيض موشى (شكل ٣) .

ومثال ثان يظهر في تصويره أخرى وهي من نفس المخطوط المار الذكر، حيث نشاهد الأمير الجالس على الجهة اليسرى من وسط التصويرة يرتدي قبـــاء مفتوحا من الأمام والقباء الذي يرتديه هذا الأمير كما يبدو من الصورة انـــه مـن نسيج تغلب عليه زخرفة التوشية .

ومن المنسوجات ما تجمع بين الوشي والتخطيط ، ومن هذا النوع وصلنـا ما يعرف بالرقم ، والرقم خز موشى يقال خزم رقم ، كما يقال برد موشي والرقـم ضرب من البرود[١٥] . قال أبو خراش ...[١٦]

تقول : فلو لا أنت أنكحـت سيـــدا أزف اليه أو حملت على قـــرم

لعمري لقـد ملكـت أمرك حقبـــة زمانا فـلامسـت في العظم الرقم

وفي الحديث أتى فاطمة عليها السلام فوجد على بابها سترا موشى فقـال : مالنا والدنيا والرقم ، يريد النقش والوشي ، والاصل فيه الكتابة ورقم الثوب يرقمه رقما ورقمه خططه قال حميد ...[١٧]

ورمن وقد زايلن كل صنيعـــة لهن وباشرن السديل المرقمـــا

والتأجر يرقم ثوبه بسمته ورقم الثوب كتابه ، وفي الحديث كان يزيد فـــي الرقم أي ما يكتب على الثياب من أثمانها لتقع المرابحة عليه أو يفتر به المشتري.

ومن صنف هذا النوع منسوجات أمتازت بأنتاجه اليمن حتى أصبـــح مـن أبرز منسوجاتها ، وهو المنسوج الذي يعرف بالحبرة ، والحبرة من برود اليمـــن منمر الليث برود حبرة ضرب من البرود اليمانية والحبير من الـــبرود مـــا كـــان موشيا مخططا نمرة ، والنمرة الحبرة لأختلاف ألوان خطوطها والنمرة شملة فيـها خطوط بيض وسود والنمرة بردة مخططة والنمرة بـــرود مـــن صـــوف يلبســـها الأعراب كل شملة مخططة من مأزر الأعراب فهي نمرة كأنها أخذت مـــن لـــون النمر لما فيها من السواد والبياض[١٨] ومن الامثلة التي يظهر عليها هذا النوع من

المنسوجات طبق من الخزف مؤرخ من سنة ٥٦٦ هـ/١١٨٧ م من مجموعة باريش واطسن تظهر عليه مجموعة من الرسوم الآدمية يرتدون ملابس من قماش مزين بخطوط بسيطة طولية بعضها متسعة وبعضها ضيق .

أما العقل فهي ضرب من الوشي وفي المحكم من الوشي الأحمر ، وقيل هو ثوب أحمر يجلل به الهودج ، قال علقمة ...(١٩)

عقلا ورقما تكاد الطير تخطفه كأنه من دم الأجواف مدموم

واستنادا الى ما تقدم فأن خير ما يمثل هذا النوع من المنسوجات يظهر على طبق من الخزف يرجع تأريخه الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في مجموعة كليكيان تمثل موكب عرس قوامه عروسة داخل هودج وخلفها وفوقها وتحتها رسوم أشخاص يمتطون ظهور الجياد .

أما الميسر فهو من ثياب اليمن المشهورة تعمل من البرود والخز والثوب والمسير وشيه مثل السيور وفي التهذيب إذا كان مخططا وسير الثوب والسهم جعل فيه خطوطا تعمل من القز كالسيور مثل برود يخالطها حرير قال الشماخ...(٢٠)

فقال أزار شرعبي وأربع من السيراء أو أواق نواجز

ومن أمثلة المنسوجات التي تجمع بين التوشية والتخطيط ما نجده ممثلا على صحن من الخزف من مجموعة (أوسكار رفائيل) يعود تأريخه الى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وقوام الزخرفة فيه . منظر حديقة وأميره جالسة تحت مظلة في حديث مع أمير ويقف خمسة من الخدم خلف عرشها ويرتدي الأمير والأميرة ملابس تجمع بين التخطيط والتوشية وربما يكون هذا النسيج من النوع المعروف بالرقم .

أما الصف الثالث فهو نوع من المنسوجات المخططة مثل المسهم والمرسم والدفني .

أما المسهم فهو البرد المخطط ، قال أبن بري ومنه قول أوس ...(٢١)

فأنا وجدنا العرض أحوج ساعة الصون من ريط يمان مسهم

وفي حديث جابر أنه كان يصلي في برد مسهم أي مخطـــط فيـــه وشـــي كالسهام وبرد مسهم مخطط بصور على شكل السهام .

أما المرسم فهو ثوب مخطط ، وفي حديـــث زمـــزم فرســـمت بالقبـــاطي والمطارف حتى نزحوها أي حشوها حشوا بالغا كأنه مأخوذ من الثياب المرســـمة وهي المخططة خطوطا خفيفة[٢٢] .

أما الدفني فهو ضرب من الثياب وقيل من الثياب المخططة وأنشد أبن بري للأعشى ...[٢٣]

الواطئين على صدور نعالهـــم يمشـــون في الدفنـــي والأبـــرار

وهناك العصب ، والعصب برود يمينيه ، وقيل هي برود مخططة .

وهناك صنف رابع من المنسوجات نظر في تسميتها الـــى ألوانـــها مثـــل الشرق والتشريق الصبغ بالزعفران غير المشبع ولا يكون بـــالعصفر والتشـــريق المشبع بالزعفران وشرق الشي شرقا فهو شرق وأشتدت حمرته بدم أو يحسن لون أحمر ومنه حديث عكرمة رأيت أبنتي لسالم عليهما ثياب مشرقة أي محمرة[٢٤] .

وهناك صنف خامس من المنسوجات أمتازت بصلابتها وخشونتها ومتانتـــها بحيث أحكم في صنعها فأصبحت خشنة الملمس مثل البصم والبصـــر والشـــوكاء والخطل .

أما الشوكاء فهي حلة عليها خشونة الحبرة وقال الأصمعي .. لا أدري مـــا هي[٢٥] ، قال المتنخل الهذلي ...[٢٦]

وأكسوا الحلة الشوكاء خدنـــي وبعض القوم في حزن وراط

وهذا البيت أورده أبن بري ..

وأكسوا الحلة الشوكاء خدنـــي إذا ضنت بـــد اللحـــز اللطـــاط

أما البصم فهو ثوب له بصم إذا كان كثيفا كثير الغزل[٢٧] .

وأما البصر فهو ثوب جيد البصر قوي وشيج[٢٨] .

وأما الخطل فهي ما خشن وغلظ وجفا من الثياب[٢٩] وأنشد ...

أعد أخطالا وترقعـــــا وثوب خطل ينجر على الارض[٣٠]

وورد صنف سادس من المنسوجات أمتازت برداءه صنعها وهي المشـبرق والمجح والخــل .

أما المشبرق فهو ثوب مقطع ممزق ، والمشبرق من الثياب الرقيق الرديء النسج ، ويقال للثوب من الكتان مثل السينية مشبرق[٣١] .

أما المح فهو الثوب الخلق البالي وفي حديث المنعمة وثوبي مح أي خلــق بال[٣٢].

أما الخل فهو الثوب البالي إذا رأيت فيه طرقــا وثــوب خــل بــال فيــه طرائق[٣٣].

وهناك نوع سابع من المنسوجات ارتبط اسمها بنوع الصور التي تحليــها مثل المبرج ، وهو ثوب للمعين من الحلة وثوب مبرج فيه صور الــبروج وفــي التهذيب فيه تصاوير كبروج السور ، قال العجاج ...[٣٤]

وقد لبسنا وشيه المبرجـــــا

وقال

كأن برجــا فوقها مبرجـــا

وكانت بعض أنواع هذه المنسوجات تحمل أسـمـاء مشــتقة مــن أســماء الحيوانات او الوحوش التي صورت عليها من ذلك (المفيــل) وهي مشتقة من لفظ (الفيل) ويغلب على الظن ان هذا النوع من المنسوجات جاءت من صــور الفيلــة التي تزينها .

ومن قطع النسيج التي وصلت الينا والتي تحمل صورا للفيلة قطعــة مــن الحرير محفوظة في متحف اللوفر بباريس عليها كتابة بالخط النسخي كما نجد فيها زوجا من الأفيال المتقابلة يحف بها من أعلى وأسفل شريطان عليهما رسوم جمال.

وفي كل ركن رسم ديك كما يزينها أيضا رسوم حيوان آخر هو (الكريفـــن) نجـــد صورته تحت كل فيل .

ومن المنسوجات التي صورت بالحيوانات ، قطعة من الحرير من مجموعة (مايرز) بواشنطن وتزدان بأشرطة زخرفية أعرضها أوســـطها عليـــها زخرفـــة لحصانين مجنحين متقابلين ، وقد تكررت هذه الزخرفة على الشـــريط المذكـــور وجعل الفنان الحصانين يلتفتان الى الخلف في هيئة ذعر .

الهوامـــش :

(١) ينظر اللسان (رفرف) .

(٢) ينظر اللسان (شمرج) .

(٣) ينظر اللسان (قصب) .

(٤) ينظر اللسان (هلل) .

(٥) النابغة . الديوان / ٤٩ تحقيق شكري فيصل .

(٦) اللسان (شغف) .

(٧) ينظر اللسان (سبب) .

(٨) ينظر اللسان (فوف) .

(٩) ينظر اللسان (قبط) .

(١٠) ينظر اللسان ، (سبر) .

(١١) ذو الرمة : الديوان ٤٩٦/١ .

(١٢) ينظر اللسان (ضرس) .

(١٣) السكري شرح أشعار الهذليين / ٧١٤ .

(١٤) ينظر اللسان (خلب) .

(١٥) ينظر اللسان (رقم) .

(١٦) السكري – شرح أشعار الهذليين ١٢٠١/٣ .

(١٧) حميد بن الارقط الديوان / ٢١ .

(١٨) ينظر اللسان (حبر) .

(١٩) ينظر اللسان (عقل) .

(٢٠) ينظر اللسان (سير) .

(٢١) ينظر اللسان (سهم) .

(٢٢) ينظر اللسان (رسم) .

(٢٣) الأعشى / الديوان : ١٣١ .

(٢٤) ينظر اللسان (عصب) .

(٢٥) ينظر اللسان (شوك) .

(٢٦) السكري شرح أشعار الهذليين : ١٢٧٠/٣ .

(٢٧) ينظر اللسان (بصم) .

(٢٨) ينظر اللسان (بصر) .

(٢٩) ينظر اللسان (خطل) .

(٣٠) ورد العجز مشابها لبيت للمتنخل وفيه اختلاف .

(٣١) ينظر اللسان (شبرق) .

(٣٢) ينظر اللسان (محح) .

(٣٣) ينظر اللسان (خلل) .

(٣٤) ينظر اللسان (برج) .